

أعضاء البيان

@ 256 @ .

وهذا إنما وقع لهم من شدة الخوف من بأس الكفار المأمور بقتالهم . . .
وقد صرح جل وعلا بأن ذلك من الخوف المذكور في قوله : { فَلَمَّا ذَا جَاءَ الْخَوْفُ
رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ
مِنَ الْمَوْتِ } . . .

وقد بين تعالى ، أن الأغنياء من هؤلاء المنافقين ، إذا أنزل الله سورة ، فيها الأمر بالجهاد ، استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في التخلف عن الجهاد ، وذهبوا على ذلك ، وذلك في قوله تعالى : { وَإِذْ آتَيْنَا نَزْلَ سُوْرَةِ أَنْعَامِنْدُؤَاوَالِلَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكَُنْ مَعَ الْفَاعِدِينَ رَضُوا بِأَنْ يَكُوْنُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوْبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَ } . قوله تعالى : { أَفَلَا يَتَذَكَّرُوْنَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوْبٍ أَقْفَالٌهُآ } . الهمزة في قوله : أفلا يتدبرون للإنكار ، والفاء عاطفة على جملة محذوفة ، على أصح القولين ، والتقدير أيعرضون عن كتاب الله فلا يتدبرون القرآن كما أشار له في الخلاصة بقوله : * وحذف متبوع بدا هنا استبح * .

وقوله تعالى : { أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } فيه منقطعة بمعنى بل ، فقد أنكر تعالى عليهم إعراضهم عن تدبر القرآن ، بأداة الإنكار التي هي الهمزة ، وبين أن قلوبهم عليها أقفال لا تنفتح لخير ، ولا لفهم قرآن .

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من التوبيخ والإنكار على من أعرض عن تدبر كتاب الله ، جاء
موضحاً في آيات كثيرة ، كقوله تعالى { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ
كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كثيراً } ، وقوله
تعالى { أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ
ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ } ، وقوله تعالى { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
مُبَارَكٌ لِيَذَّبَ بَشَرُوهَا يَا تِهِ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } . .
وقد ذم جل وعلا المعرض عن هذا القرآن العظيم في آيات كثيرة كقوله تعالى : { وَمَنْ
أَطْلَمَ مِنْ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا } . وقوله تعالى : {
وَمَنْ أَطْلَمَ مِنْ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا } .

